حلول مشكلة (اليأس) المانع الأول للنهوض والبعث الحضاري عند بديع الزمان سعيد النُّورسي

أ.دة. فيروز عثمان صالح

قسم الدراسات الإسلامية - كلية الآداب - جامعة الخرطوم

مقدمة:

الحَمْدُ لله الذي جعل الوراثة الحضارية سُنّة مطردة تتحقق متى ماتوفرت شروط الصلاح وإرادة الإصلاح والإحياء وصدق العزيمة في مَنْ تصدي ونذر نفسه لهذه المهمة الجليلة، مصداقاً لقوله تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)[1] والصلاة والسلام على نبي الرحمة وريث النبوة والحضارة ومرشدها وقائدها وإمامها، وعلى آله وصحبه أجمعين.... وبعد

لقد أدرك كثيرٌ من المصلحين الذين نذروا أنفسهم لمهمة إحياء الأمة وبعثها ــ وفي مقدمتهم الإمام النُّورسي (١٨٧٧-١٩٦٠م)[2] ــ أن تنزيل المشروع الحضاري في أرض الواقع منوط برفع وعي الأمة وإدراكها، حتى لا يتم التنفيذ من غير وعي، أي أن المسألة تحتاج إلى إعادة تشكيل الذهن وتعميق التصور والرؤية نحو الرسالة الحضارية للإسلام بشمولها

---

(١) سورة الأنبياء الآية (١٠٥).

(٢) صاغ النُّورسي معالم مشروعه النهضوي الحضاري في ثنايا مؤلفه التفسيري (رسائل النور) لاسيّما في الخطبة الشامية، رسائل النور أكثر من (١٣٠) رسالة جمعت تحت عنوان: كليات رسائل النور، وهي كما يقول الأستاذ النُّورسي "برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمحة براقة من لمحات إعجازه المعنوي..." انظر العالم يتصفح رسائل النور، سوزلر للنشر، القاهرة (د.ت)، ص٢٠، وهي تضم تسعة أجزاء سجّل فيها النُّورسي كل ما استلهمه من نور القرآن الكريم.أما الخطبة الشامية فقد ألقاها الأستاذ النُّورسي وهو في شرخ الشباب باللغة العربية في الجامع الأموي بدمشق عام ١٩١١م، بإلحاح من علماء الشام، وحضرها جمع غفير يربون على عشرة آلاف شخص. بديع الزمان سعيد النُّورسي، من كليات رسائل النور (١٣)، الخطبة الشامية، صرخة حياة في موات أمة، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، استانبول، (د.ت)، ص٥.

للزمان والمكان، فإي عملية بناء لابد أن يُسبق بفكرة تُطبع في أذهان أصحابها، وهو الدور الذي قامت به رسائل النور.

لقد أدرك النُّورسي بفكره الثاقب أن ثمة أمور سالبة على حركة الإحياء والبعث الحضاري تزلزل ثقة الأمة في وعد الله بالنصر أو يستبطئونه أو تحدث ضباباً وبلبلةً فكرية، تبعثر الطاقات العاملة في الإحياء منها: كون الأمة لأكثر من قرن من الزمان – في الوقت الذي حلّق فيه العالم الغربي إلى المستقبل– بعُدت في أوضاعها العامة عن منهجها، وانهزمت أمام عدوها، وفقدت دورها الريادي والحضاري[1].

وبالرغم من تلك الحقائق السالبة يلحظ المتبصر في هذا الشأن أن نهضة إسلامية حقيقية تعتمل، وأن دورة جديدة من دورات ريادة الأمة الإسلامية قد لاحت، في ضوء هذه الحقائق ما لبث النُّورسي يعكف على توجيه النظر إلى مسائل انصرف الكثيرون عن التنبيه إليها، وهي الدراسة الواعية المتبصرة لواقعنا بكل تفاصيله، وفهم مشكلاتنا المعاصرة في إطارها التاريخي (مكاناً وزماناً) ومن ثم التحديد الدقيق للحلول وترتيب الأولويات.

الأستاذ النُّورسي صاحب مشروع وباعث أمة:

إنّ بديع الزمان النُّورسي – رحمه الله –كان عارفاً بأحداث عصره وتقلباتها ومصائبها ومهلكاتها وكان عميق الحكمة وثاقب البصيرة، فيما يتجه إليه مصير الأمة، ودائم القلق على هذا المصير يقول رحمه الله: "إنّ أمامي حريقاً مدهشاً يحترق فيه أبناء أمتي يحترق فيه إيمانهم وعقيدتهم، فها أنا ذا أحاول أن أُطفئ ذلك الحريق فيعرقلني واحد فيصدم به رجلاي فلا قيمة لذلك"[2]. ونراه يردد: "إنه لا يقلقني سوى المخاطر المحدِقة بالإسلام فقلعة الإيمان إذن في خطر داهم. لذا لا قلق لي إلا هذا ولا أضطرب إلا مِن هذا بل ليس عندي زمن أُضيّعه في التفكير في التعب والمشاق التي أتعرض لها بنفسي، وليتني أتعرض لألف ضعف من شقائي ويسلم مستقبل قلعة الإيمان... ولم ينقطع رجائي وأملي تماماً"[3].

فقد عاصر بديع الزمان سعيد النُّورسي عهد السلطان (عبد الحميد الثاني) أواخر عمر

---

(١) بديع الزمان النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص ٢٨.

(٢) بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط٣، ١٩٩٨م ج٩، ص٦٦.

(٣) المرجع نفسه، ج ٩، ص ٤٩٠-٤٩١.

الدولة العثمانية الآيلة للسقوط، وعاصر تكالب الأعداء وتزاحمهم للقضاء على هذه الدولة. وخاض الشعب التركي حرباً تحريرية ضد الغزاة وهي التي تُسمى (حرب الاستقلال) ولكن ما إن استقر الأمر وطرد الغزاة حتى ظهر العداء السافر للإسلام ومحاولات جادة لقلع الإيمان الراسخ في قلب الأمة. ففي عام ١٩٢٢م وُضعت قوانين وأُتخذت قرارات لقلع الإسلام من جذوره و إخماد جذوة الإيمان في قلب الأُمة. فأُلغيت السلطنة العثمانية في (١٩٢٢/١١/١م) وأعقبه إلغاء الخلافة في (١٩٢٤/٣/٣م)، فانتشرت المقوّمات والتقاليد والأفكار والفلسفات المادية الغربية والعَلمانية المعادية لمبادئ القرآن[١].

وأمام هذه الأعاصير الهائلة المزعزعة للحياة الاجتماعية بأسرها، ظهر بديع الزمان ليحمل هموم الأمة ويقوم بأعباء رسالة (البعث والنهوض الحضاري) من خلال تأليفه لرسائل النور ونشرها بين طبقات الأمة في ظروف غاية في الدقة والصعوبة[٢].

لقد ساقته – رحمه الله – الظروف لأن يقف موقف التبني لأوضاع أمته ومآلها، إذ كان في قلب الجبهة، وفي مواجهة الصراع.. فضلاً عن ما كان له من إيمان روحي راسخ ومن حظوظ علمية تُهيّئه لأن ينهض بالدور الإحيائى الذي تفرضه عليه المرحلة فكان لا مناص له من أن يتحمل المسؤولية وأن يؤدي واجبه في الإحياء وبعث المقومات[٣]، يقول محمد البنعيادي" الأستاذ سعيد النُّورسي صاحب مشروع وباعث أمة، رسائله إسهامات بارزة في تحريك الحس الحضاري، وإيقاظ الشعور الجماعي للأمة. إن الذي يتدبر رسائل الرجل يشدّه هذا التفكير العميق والنظر الطويل والتأمل البصير في البحث عن علل وأزمات الأمة واقتراح الحلول لها"[٤].

---

(١) العالم يتصفح كليات رسائل النور، مركز رسائل النور– السودان، ص ٥– ١٣ ملخصاً.

(٢) العالم يتصفح رسائل النور، ص ٤–٥.

(٣) عشراتي سليمان، الندوة العلمية الدولية: جهود سعيد النُّورسي في تجديد الفكر الإسلامي، ورقة بعنوان: النُّورسي ومنطق السيرورة، تحسس لمسألة الزمان كما تمثلها فكرياً، الرباط، دار سوزلر للطباعة والنشر، استانبول ط، ٢٠٠٥م. ص٢٣٣.

(٤) محمد البنعيادي، المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان النُّورسي "العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية" ورقة بعنوان: فقه البناء والتجديد في المشروع الإيماني والأخلاقي الثوري، استانبول، ٢٠١٠م. ص٨٥٦.

أسباب التراجع الحضاري للمسلمين (موانع النهوض):

لقد كان الأستاذ النُّورسي – رحمه الله– يعي ويُدرك أن "الحضارات – بما في ذلك الحضارة الإسلامية ــ جهد بشري، وهي بطبيعة بشريتها تبقى خاضعة للسقوط والنهوض والخطأ والصواب كلما توفرت لها عوامل ذلك"(١).

لكن الفرق بين حضارة الإيمان وحضارة الجبت والطاغوت أنّ الأولى تمتلك وجهة ومقاصد واضحة، لأنها مؤطرة بمعرفة الوحي، وتمتلك قيماً تقوّم وتسدد بها مسيرتها، وتمتلك بها إمكان المعاودة والنهوض من جديد. فهي حضارة لا يتعطل فيها الفعل الحضاري بالكلية. والثانية – أي حضارة الجبت والطاغوت– بائدة مهما طال عمرها.

والنُّورسي كان يدرك ويعي حقيقة التراجع والسقوط الحضاري للمسلمين في عصره، "فقد عاش في مرحلة مضطربة كانت تموج فيها الأحداث موجاً، وتوضع الخطوط العريضة والكبرى للعالم المعاصر، وكان ذا معرفة بخبايا القوى الغالبة وخفايا الحضارة الظاهرة، وانطلاقا من هذا نقرأ في رسائل النور ما يثبت حسن قراءة الأستاذ النُّورسي لأحداث عصره في تركيا، وفي العالم الإسلامي وإدراكه لحقيقة الحضارة الغربية وأسسها وأسباب قوتها وضعفها"(٢).

فهو يصف في كلام قصير حالة عصره وعللها ويصف في ذات الوقت العلاج، يقول في المكتوبات: "عصر مريض، وعنصر سقيم، وعضو عليل، وصفتها الطبية هي اتباع القرآن"(٣). وفي الخطبة الشامية، حدد النُّورسي — رحمه الله– تلك الأمراض والعلل والتي أدت إلى التراجع الحضاري قائلاً: "لقد تعلمت الدروس من مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية وعلمت في هذا الزمان والمكان أن هناك ستة أمراض جعلتنا – أي المسلمين – نقف على أعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجانب – وخاصة الأوربيين— نحو المستقبل وتلك الأمراض هي: **أولاً**: حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه، **ثانياً**: موت الصدق في حياتنا

---

(١) سعاد رحائم، الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات، سلسلة كتاب الأمّة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ٢٠٠٧م. ص١٠.

(٢) عبد العزيز فارح، ندوة "سؤال الأخلاق في مشروع النُّورسي"، ورقة بعنوان: بديع الزمان النُّورسي معالم في الاخلاق والإيمان، وجدة، المغرب، دار سوز للطباعة والنشر، استانبول، ط١، ٢٠٠٨م. ص١٣٧.

(٣) بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط١، ١٩٩٣م، ج٢، ص٦٠٠.

الاجتماعية والسياسية، **ثالثاً**: حب العداوة، **رابعاً**: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض، **خامساً**: سريان الاستبداد، **سادساً**: حصر الهمة في المنفعة الشخصية"[١].

إذن فقد قرأ الأستاذ النُّورسي أحداث عصره وعاش هموم أمته، باحثاً عن أسباب تراجعها وتخلفها ووسائل بعثها وبناء مستقبلها، فقد أدرك – رحمه الله – أن أول الطريق للاستئناف الحضاري هو الإقرار بحقيقة تراجع الأمة وأن تشخيص الداء أول خطوة في وصف العلاج، وأن العقبات في حقيقتها حافز للنهوض وهو الأمر الذي يؤكد علي نباهته الحضارية، وعلي قدرته علي التعاطي الإيجابي مع معطيات زمانه ومكانه بتعقيداتها النظرية والعملية.

رجل القدر يبحث عن نور (أمل) بين ظلمات (اليأس):

من الأساليب التربوية للأستاذ النُّورسي أسلوب الحوار، وكان يستخدم هذا الأسلوب في تبليغ المعاني الحضارية الراقية، ومن هذه النصوص (حوار في رؤيا)، ولم تكن رؤيا في منام بل رؤيا صادقة هي يقظة في الحقيقة كما أكّد النُّورسي، فقد كان النُّورسي يبحث عن أمل ونور بين ظلمات اليأس المتكاثفة القاتمة الذي ولدته حوادث الدهر عام ١٩١٩م وهو عام سقوط الدولة العثمانية ودخول الأجانب البلاد، يقول النُّورسي: "دخلت عالم المثال في ليلة من ليالي الجمعة، ورأيت مجلساً منوراً قد حضره السلف الصالحون، وممثلون من العصور.... لم أر مثيلهم في الدنيا.... قال أحدهم موجهاً كلامه لي ــ يارجل القدر!.. ويارجل عصر النكبة والفتنة والهلاك!"[٢].

وفي ذلك المجلس وجُهت للنُّورسي أسئلة تتعلق بواقع الأمة وحاضرها وتستشرف المستقبل، ردّ عليها مبشّرا بأنّ "هزيمة الدولة العثمانية رغم أنها مصيبة ليست شراً محضاً، فقد تنشأ السعادة من النكبة والبلاء، فالدولة العثمانية التي حملت راية الخلافة إعلاءً لكلمة الله وزوداً عن استقلال العالم الإسلامي. ستعوّض عما اصابتها من مصيبة وستزيلها السعادة التي سوف يرفل بها عالم الإسلام"[٣]. وقد وزان النُّورسي بين أسس المدنية الحديثة والمدنية التي

---

(١) بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط١، ١٩٩٣م، ج٨، ص٤٩١-٤٩٢، النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم، ص ٢٨.

(٢) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الاسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٨، ص ٣٥٥.

(٣) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٨، ص ٣٥٦.

تأمرنا بها الشريعة، فأكّد أن المدنية الحديثة تُفضي إلى الاعتداء والتزاحم والتنازع والتصادم ومسخ الإنسان معنوياً[1].

وزف رحمه الله البشرى بأن المدنية التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها، هي التي

---

(١) يرى النُّورسي أن المدنية الحديثة تأسست على خمس أسس سلبية:
١. فنقطة استنادها هي القوة، وهذه شأنها الاعتداء.
٢. وهدفها وقصدها: المنفعة، وهذه شأنها التزاحم.
٣. ودستورها في الحياة: الجدال والصراع، وهذا شأنه التنازع.
٤. والرابطة التي تربط المجموعات البشرية هي العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين، وهذه شأنها التصادم كما نراه.
٥. وخدمتها للبشرية خدمة فاتنة جذابة هي تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمارة، وتطمين رغباتها وتسهيل مطالبها، وهذا الهوى شأنه: إسقاط الإنسان من درجة الملائكية إلى درك الحيوانية الكلبية: وبهذا تكون سبباً لمسخ الإنسان معنوياً. وسعادة هذه المدنية هي لأقل القليل من الناس والقرآن لا يرضى بمدنية لا تضمن سعادة الجميع. أو لا تعم الغالبية العظمى. المرجع نفسه، ج ٨، ص ٣٥٧.
٦. فنقطة استنادها هي القوة، وهذه شأنها الاعتداء.
٧. وهدفها وقصدها: المنفعة، وهذه شأنها التزاحم.
٨. ودستورها في الحياة: الجدال والصراع، وهذا شأنه التنازع.
٩. والرابطة التي تربط المجموعات البشرية هي العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين، وهذه شأنها التصادم كما نراه.
١٠. وخدمتها للبشرية خدمة فاتنة جذابة هي تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمارة، وتطمين رغباتها وتسهيل مطالبها، وهذا الهوى شأنه: إسقاط الإنسان من درجة الملائكية إلى درك الحيوانية الكلبية: وبهذا تكون سبباً لمسخ الإنسان معنوياً. وسعادة هذه المدنية هي لأقل القليل من الناس والقرآن لا يرضى بمدنية لا تضمن سعادة الجميع. أو لا تعم الغالبية العظمى. المرجع نفسه، ج ٨، ص ٣٥٧.
١١. فنقطة استنادها هي القوة، وهذه شأنها الاعتداء.
١٢. وهدفها وقصدها: المنفعة، وهذه شأنها التزاحم.
١٣. ودستورها في الحياة: الجدال والصراع، وهذا شأنه التنازع.
١٤. والرابطة التي تربط المجموعات البشرية هي العنصرية والقومية السلبية التي تنمو على حساب الآخرين، وهذه شأنها التصادم كما نراه.
١٥. وخدمتها للبشرية خدمة فاتنة جذابة هي تشجيع هوى المنفعة، وإثارة النفس الأمارة، وتطمين رغباتها وتسهيل مطالبها، وهذا الهوى شأنه: إسقاط الإنسان من درجة الملائكية إلى درك الحيوانية الكلبية: وبهذا تكون سبباً لمسخ الإنسان معنوياً. وسعادة هذه المدنية هي لأقل القليل من الناس والقرآن لا يرضى بمدنية لا تضمن سعادة الجميع. أو لا تعم الغالبية العظمى. المرجع نفسه، ج ٨، ص ٣٥٧.

ستنكشف بانقشاع هذه المدنية الحاضرة، وتضع أسساً إيجابية بناءة مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية نعم! إن نقطة استنادها هي الحق بدلاً من القوة! والحق من شأنه: العدالة والتوازن. وهدفها: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: التجاذب. وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية: الرابطة الدينية والوطنية، والمهنية بدلاً من العنصرية، وهذه شأنها: الأخوة الخالصة، والسلام والوئام، والزود عن البلاد عند تجاوز الأجانب.

ودستورها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد. وتضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكماً على الخدمات التي تقدم للبشر، وشأن الهدى: رفع الإنسانية إلى مراقي الكمالات فهي إذن تحدد الهوى وتحدُّ من النزعات النفسانية وتطمئن الروح وتشوقها إلى المعالي[1]، ومادام الميل نحو الكمال قانوناً فطرياً في الكون وقد أُدرج في فطرة البشرية، فإن الحق والحقيقة سيظهران في المستقبل على يد العالم الإسلامي إن شاء الله[2].

إذن فإن النُّورسي كان يبصر وسط ركام الآلام الذي اثقل فؤاده نوراً يُنسيه الآلام. لذا نجده يردد: "إنني أستطيع أن اتحمّل كل آلامي الشخصية، ولكن آلام الأمة الإسلامية سحقتني، إنني أشعر بأن الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي كأنها وجهت إلى قلبي أولاً ولهذا ترونني مسحوق الفؤاد ولكن أرى نوراً يُنسينا هذه الآلام إن شاء الله تعالى"[3].

اليأس مانع للنهوض الحضاري:

يربط الأستاذ النُّورسي بين اليأس والمسألة الحضارية فيؤكد أن اليأس داءٌ استشرى في قلب الأمة الإسلامية وأدى إلى تراجعها الحضاري وتمكن الاستعمار الغربي فيها، إذ يقول: "إنّ اليأس داء قاتل، وقد دبّ في صميم قلب العالم الإسلامي... وهذا اليأس هو الذي امات فينا الروح المعنوية التي بها استطاع المسلمون أن يبسطوا سلطانهم على مشارق الأرض ومغاربها بقوة ضئيلة، ولكن ما إن ماتت تلك القوة المعنوية الخارقة باليأس حتى تمكن

---

(١) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٨، ص ٣٥٩.

(٢) المرجع نفسه، ج٨، ص ٥٠١، النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص ٤٦.

(٣) Bilinmeyen Tarafariyle Bediuzzaman said Nursi ص ٢١٤، نقلاً عن اورخان محمد علي، سعيد النُّورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت) ص ٩٤-٩٥.

الأجانب الظلمة — منذ أربعة قرون- أن يتحكموا في ثلاثمائة مليون مسلم[١] ويكبلوهم بالأغلال"[٢].

ويقرر النُّورسي أن اليأس هو المانع الأول لترقي الأمم ونهوضها قائلاً:" إن اليأس داء عضال للأمم والشعوب، أشبه ما يكون بالسرطان وهو المانع من بلوغ الكمالات"[٣]. وكذلك يقول: "اعلموا أن اليأس مانع كل كمال"[٤] فإن الذي ينفث في أوروبا الحياة هو (الأمل).. والذي يقتلنا هو (اليأس)[٥].

وبعد تحذيره- رحمه الله- من تلك العلة يصف الدواء من فيض صيدلية القرآن أسوة بالأمراض الستة التي بيّن علاجها بست كلمات[٦]، - يقول رحمه الله-: "فما دام هذا الداء قد فتك فينا إلى هذا الحد... فنحن عازمون على أن نقتص من قاتلنا فنضرب رأس ذلك اليأس بسيف الآية الكريمة "لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ"«(٧)»[٨].

ويبدو واضحاً للمتصفح لرسائل النور عموماً والخطبة الشامية على وجه أخص أنها جعلت من بثّ الأمل والتبشير بمستقبل أفضل للمسلمين احدى أكبر مقاصدها وحقائقها. فالآية الكريمة السابقة — على سبيل المثال- قد ورد ذكرها فى مواضع كثيرة من رسائل النور على نحو ينسجم مع مشروعه النهضوي للأمة[٩]. بل إنه قد استهل الخطبة الشامية التي

---

(١) تعداد المسلمين آنذاك.

(٢) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم، ج٨، ص٥٠٥، النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم، ص٥٣.

(٣) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم ،ج٨، ص٥٠٥، النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم، ص٥٣.

(٤) النُّورسي، الخطبة الشامية، ص ٩٧.

(٥) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص ٣٦٩.

(٦) النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم.ص٢٩.

(٧) سورة الزمر، الآية (٥٣).

(٨) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الاسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص ٥٠٥، النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص ٥٤.

(٩) انظر مثلاً: النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق (في فقه الدعوة) ترجمة : إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط٥، ١٩٩٥م، ج٧، ص٢٥٩، وانظر: النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام. ج٨، ص٣٩٢، ٤٣٣، ٤٩١، ٥٠٥.

تجسد معالم هذا المشروع بها[١]. فالآية الكريمة "تحول بين الأمة وبين الانطفاء والزوال – باليأس– وتبعث على الحياة بل أنها ضياء يتجاوز الأمة لينير العالم اجمع"[٢]. فثقافة الأمل من محركات الإقلاع والاستئناف الحضاري في رسائل النور "فالإيمان يفتح باب الأمل المشرق"[٣].

إذن فهزيمة اليأس هو شرط تحقق (حركة الحياة وفعاليتها)[٤] "لذا ينبغي النظر إلي الأمور بمنظار رسائل النور والسعي في الخدمة السامية بجد وشوق كلما ازدادت المشكلات"[٥].

رسائل النور تؤكد على قابلية الأمة الإسلامية للترقي المعنوي والمادي:

يؤكد النُّورسي في رسائل النور على إمكان وقابلية الأمة للترقي والبعث الحضاري، ويُزف البشرى بمستقبل أفضل للمسلمين، يقول في الخطبة الشامية في الكلمة الأولى "الأمل"[٦] "يسرني أن أزف إليكم البشرى يا معشر المسلمين، بأنه قد أزف بزوغ أمارات الفجر الصادق ودنا شروق شمس سعادة عالم الإسلام الدنيوية. فإنني أعلن بقوة وجزم بحيث أُسمع الدنيا كلها وأنف اليأس والقنوط راغم: أن المستقبل سيكون للإسلام وللإسلام وحده، وأن الحكم لن يكون إلا لحقائق القرآن والإيمان"[٧] وحاكمية القرآن والإسلام على المستقبل منبثقة من طبيعته أولاً، ومن مضمونه ثانياً، وفضلاً عن ذلك فإن للإسلام استعداده المعنوي للرقي مما يجعل سيادته في المستقبل مُتْيقّنة لا مراء فيها[٨].

وبقراءة فاحصة وعميقة لواقع عصره فإن الأستاذ النُّورسي يبين الأسباب والموانع التي

---

(١) النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم. ص٢٧.

(٢) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم. ج٨، ص٣٩٢.

(٣) بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط٣، ١٩٩٨م، ج١، ص ١٠٤.

(٤) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم. ج٨، ص٤٣٣.

(٥) النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج٧، ص١٢١.

(٦) يقصد النُّورسي بالأمل: شدة الإعتماد على الرحمة الإلهية والثقة بها، النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص٤٩٢.

(٧) المرجع نفسه، ج٨، ص٤٩٢، النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم. ص٢٩-٣٠.

(٨) عمار جيدل، المؤتمر العالمي "العلم والإيمان والأخلاق لاجل مستقبل أفضل للإنسانية"، ورقة بعنوان: اهتمام رسائل النور بالمستقبليات، استانبول، ٢٠١٠م، ص١٦٢.

حالت دون استيلاء حقائق الإسلام والإيمان وسيادة حكم القرآن استيلاءً تاماً، مع تأكيده أن قسماً من تلك الأسباب قد زال، وقسماً آخر في طريقه للزوال يقول رحمه الله في الخطبة الشامية: "لقد حالت ثمانية موانع دون استيلاء حقائق الإسلام على الزمان الماضي استيلاءً تاماً وهي: المانع الأول والثاني والثالث: جهل الأجانب، وتأخرهم عن عصرهم (أي بعدهم عن الحضارة)، وتعصبهم لدينهم. فهذه الموانع الثلاثة بدأت تزول بفضل التقدم العلمي ومحاسن المدنية. المانع الرابع والخامس: تحكم القسيسين وسيطرة الزعماء الروحانيين على أفكار الناس وأذهانهم، وتقليد الأجانب لأولئك القسيسين تقليداً أعمى، فهذان المانعان أيضاً يأخذان بالزوال بعد انتشار حرية الفكر وميل النوع البشري إلى البحث عن الحقائق. المانع السادس والسابع: تفشي روح الاستبداد فينا، وانتشار الأخلاق الذميمة من مجافاة الشريعة ومخالفتها. فإن زوال قوة استبداد الفرد الآن يشير إلى زوال استبداد الجماعة والمنظمات الرهيبة بعد ثلاثين أو أربعين سنة. ثم إنّ فوران الحمية الإسلامية والوقوف على النتائج الوخيمة للأخلاق الذميمة كفيلان برفع هذين المانعين بل هما على وشك أن يرفعا، وسيزولان زوالاً تاماً إن شاء الله. توهم وجود التناقض بين مسائل العلم الحديث والمعنى الظاهري لحقائق الإسلام"[1]، وقد بيّن النُّورسي رحمه الله أنّ رسائل النور ولا سيما رسالة "المعجزات القرآنية- فضلاً على مؤلفات قيّمة لعلماء الإسلام قد تصدت لهذا المانع وهدمت قسماً كبيراً منه، وأنّ كل الأمارات تدل على أن هذا المانع الثامن سيضمحل تماماً"[2].

وزفّ النُّورسي – رحمه الله – البشرى بزوال الموانع الثمانية قريباً بالعلم، والمعرفة الحقيقية ومحاسن المدنية[3]، وذلك ببعثها روح التحري عن الحقائق والإنصاف والمحبة الإنسانية وإرسالها إلى جبهات محاربة تلك الأعداء الثمانية[4]. وسوف تتغلب بإذن الله محاسن المدنية بفضل قوة الإسلام التي ستسود في المستقبل وتطهر وجه الأرض من الأدناس وتحقق أيضاً

---

(١) النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص٣٦- ٣٨.

(٢) المرجع نفسه. ص٣٨-٣٩ ملخصاً.

(٣) يؤكد النُّورسي أن قصده من المدنية هو محاسنها وجوانبها النافعة للبشرية وليس ذنوبها وسيئاتها، ونبه إلى ضرورة تجاوز سيئات مدنية اوربا والاقتباس فقط من محاسنها، فمدنية اوربا لم تتأسس على الفضيلة والهدى بل على الهوس والهوى، وعلى الحسد والتحكم، لذلك تغلبت سيئات هذه المدنية على حسناتها. أنظر النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة إحسان قاسم. ص٤٥.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٩.

سلاماً عاماً للبشرية قاطبة[1]. فإن لكل شتاء ربيعاً ولكل ليل نهاراً فلواء الإسلام العادل العظيم سيُرفع خَفاقاً ليرفرف في آفاق الكمالات[2].

الأنبياء أرباب وهداة التقدم والرقي المعنوي والمادي:

الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- هم هداة الترقي المادي والمعنوي وقادة طريق الكمالات الروحية والعقلية، والنُّورسي - رحمه الله - يؤكد أنّ في قصصهم ومعجزاتهم الواردة في القرآن الكريم تحريك لأجهزة الاستقبال في الأرواح المتطلعة للسمو وتحفيز للترقي وتشجيع للبشر للوصول إلى أشباهها إذ يقول في إشارات الإعجاز: "كأنّ القرآن بتلك القصص يضع اصبعه على الخطوط الأساسية ونظائر نتائج نهايات مساعي البشر للترقي في الاستقبال الذي يبنى على مؤسسات الماضي الذي هو مرآة المستقبل، وكأنّ القرآن يمسح ظهر البشر بيد التشويق والتشجيع قائلاً: اسع واجتهد في الوسائل التي توصلك إلى بعض تلك الخوارق"[3] ويشرح ذلك قائلاً: "إنّ القرآن بذكره معجزات الأنبياء، إنّما يدل البشرية على أنّ نظائر تلك المعجزات سوف تتحقق في المستقبل بالترقي، ويحث الإنسان على ذلك وكأنه يقول: هيا اعمل واسع لتنجز أمثال هذه المعجزات، فاقطع مثلاً مسافة شهرين في يوم واحد كما قطعها سليمان عليه السلام، واعمل على مداواة أشد الأمراض المستعصية كما داواها عيسى عليه السلام، ... وابحث عن المواد التي تقيك شر الحرق بالنار والبسها كما لبسها إبراهيم عليه السلام، والتقط أبعد الأصوات واسمعها وشاهد الصور من أقصى المشرق والمغرب كما فعل ذلك بعض الأنبياء...، وهكذا قياساً على هذا نجد أن القرآن الكريم يسوق البشرية إلى الرقي المادي والمعنوي"[4]. وبهذا يمكن "للنفس أن تخرج إلي غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل"[5].

---

(١) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص ٥٠١. النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص ٤٥.

(٢) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص ٣٧١-٣٧٢ بتصرف.

(٣) النُّورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم.، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط٣، ١٩٩٩م، ج٥، ٢٣٨.

(٤) النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم.ص٤٢. انظر إلى مزيد من الشواهد على أثر معجزات الأنبياء عليهم السلام في الترقي المادي في: النُّورسي، كليات رسائل النور، إشارات الاعجاز، تحقيق: إحسان قاسم، ج٥، ص٢٣٨-٢٣٩.

(٥) عبد الرحمن بن الجوزي، صيد الخاطر، ضبط وتحقيق: محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة،

القرآن الكريم باعث على الترقي الحضاري للمسلمين:

إن تاريخ الحضارة الإسلامية دالت فيه الدول وسقطت[١]، لكن لم تنطفئ فاعلية المجتمع فيه تماماً، وما ماتت ولم يتعطل الفعل الحضاري بالكلية[٢] وذلك أن الحضارة الإسلامية تملك خاصية الإحياء والبعث متى ما توفرت شروط معينة، ولها قابلية الترقي والنهوض المادي والمعنوي أو كما يقول الأستاذ النُّورسي "إن حقائق الإسلام تمتاز باستعدادها، استعداداً كاملاً لرفع أهلها إلى مراقي التقدم المادي والمعنوي معاً"[٣].

والنُّورسي يؤكد على أن الباعث على الرقي المعنوي هو القرآن والإيمان فيقول في الخطبة الشامية: "نحن معاشر المسلمين خدام القرآن نتبع البرهان ونقبل بعقلنا وفكرنا وقلبنا حقائق الإيمان، ... وعلى هذا فإن المستقبل الذي لاحكم فيه إلاّ للعقل والعلم سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامه على العقل والمنطق والبرهان"[٤].

لذا تطالب رسائل النور بضرورة "الرضى بالقدر الإلهي وبما قسمه الله لنا، إذ لنا مستقبل زاهر"[٥] ويؤكد النُّورسي ذلك في مقام آخر قائلاً: "نعم، كونوا على (أمل)، أن اعظم صوت داوٍ في انقلابات المستقبل هو صوت الإسلام الهادر"[٦].

ولا شك أنّ "المؤمن يتمتع بالغلبة بقدر التزامه باحكام القرآن، لهذا فالنجاح والفلاح به مشروط بتصديقه قلباً وعقلاً مع صدق العمل على تجسيده في الواقع المعيش، فيتحول

ط٢، ١٩٨٨م ص ١٣٦.

(١) عندما ضَعُف الأمويين وأهتز ملكهم وتفكك أمام الاضطرابات المختلفة، زالت دولتهم، إلا أن العباسيين جددوا طاقات الدولة من بعدهم وأعطوها دفعاً جديداً وهكذا دورات متعاقبة من (السلاجقة) و(المماليك) وغيرهم إلى العثمانيين.

(٢) أزهري التجاني عوض السيد، إعادة البناء الإسلامي، سلسلة رسائل البعث الحضاري (١٩)، المركز القومي للإنتاج الاعلامي، الخرطوم، ط٢، ١٩٩٦م، ص١٢.

(٣) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ص٤٩٣، النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص٣٠.

(٤) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص٤٩٥، النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة :إحسان قاسم، ص٣٥.

(٥) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص٤٩٢.

(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص٣٦٠.

القول بالقرآن إلى أعمال وأحوال تُرى تصرفات في شعاب الحياة"[١].

لذا فقد اجتهد الأستاذ النُّورسي في بعث المسلمين بعثاً قُرانياً يستوعب حضارة العصر، لكنه لا يحمل أوزارها وسيئاتها وإبعادها للدين والقيم والأخلاق عن الفعل الحضاري، يقول رحمه الله: "إن القرآن الكريم مرشدنا وأستاذنا وإمامنا ودليلنا في أعمالنا"[٢].

وينبه الأستاذ النُّورسي إلى"أنّ أثر القرآن في التقدم (الحضاري الإسلامي) لا يُنكر، فالقرآن هو الذي دفع العرب إلى فتح العالم، ومكنهم من إنشاء امبراطورية فاقت إمبراطورية الإسكندر الكبير، والإمبراطورية الرومانية سعة وقوة وعمراناً وحضارة"[٣].

فمحمد ﷺ كما يقول النُّورسي رحمه الله "أخرج قومه من زوايا النسيان ورقى بهم إلى أوج المدنية وصيّرهم معلمي عالمهم، وأسس لهم دولة عظيمة في زمن قليل، فأصبحت كالشعلة الجوالة والنور النوار بل كعصا موسى تبتلع سائر الدول وتمحيها"[٤].

تلك الدولة التي ولّدت ما ازدهر به التاريخ الإسلامي من المعارف والآداب، والصنائع والفنون فكان المسلم – الذي يمتلك قابلية الترقي المعنوي والمادي – هو منشئ تلك الآثار الباهرة من الحضارة، سيّدها ومعمّرها بإيمانه القوي، وروحه المتقدة وفكره المتوثب، وخلقه الطاهر وسلوكه الأمين. فالإسلام لم يكن أبداً معرقلاً للفعل الحضاري، بل بالعكس من ذلك كان مُنشئاً لحضارة مستقلة بذاتها، وأبعد من ذلك ساهمت من جانبها في تطور الحضارة الإنسانية. وذلك هو أهم الأمارات والأسس لحيوية الإسلام وحركيته، لذا فإن الأستاذ النُّورسي يُنبه الأمّة بالأخذ بأسباب التفوق المادي، لأن ذلك هو الذي يكفل لها الفاعلية والحركية، ويكفل لها قدرة التأثير لأن الأمم كما يقول: "لا تتبع ولا تعبأ إلا بالأمة القوية المتحكمة في المادة ومصيرها، وبما أننا أمة تبليغ، فالتبليغ بات اليوم العلم ولا بد من تكنولوجيا رائدة، وبات أيضاً احتذاء، إذ لا بد من المكانة المكينة التي تغدو فيها سيرتنا محل أسوة وإقتداء"[٥].

---

(١) عمار جيدل، المؤتمر التاسع "العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية، ورقة بعنوان: اهتمام رسائل النور بالمستقبليات. ص١٦١

(٢) النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج٢، ص ٤٧٦.

(٣) النُّورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز، تحقيق: إحسان قاسم، ج٥، ص٢٨٠.

(٤) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الاسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص١٤٨.

(٥) عشراتي سليمان، النُّورسي في رحاب القرآن، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠١٠م، ص٣٥.

عمارة الارض بالعمل الإيجابي البناء:

إن مقاصد الشريعة والأدلة الأصلية جزء من المصادر الأساسية للتشريع الإسلامي، والمقصد العام للشريعة الإسلامية هو عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها وصلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كُلّفوا به من عدل واستقامة ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاحٍ في الأرض واستنباط لخيراتها وتدبير لمنافع الجميع[١]يقول الإمام الغزالي: "فإنّ جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم"[٢] لذا يؤكد النُّورسي على "إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام"[٣].

إن الاستخلاف في الأرض في نظر الأستاذ النُّورسي يعني القدرة على العِمارة والإصلاح، لا على الهَدم والإفساد، والقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، لا على الظلم والقهر، والقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري، لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارك الحيوان[٤] وهكذا سار النُّورسي بالتأويل في مسار التثقيف المادي النافع والمفيد[٥].

فالقيام بعمارة الأرض والأخذ بأسباب الترقي والتحضر والتمدن من فروض الكفايات – أي أنه أمر تشريعي توجه للأمة كلها دون أمر الأفراد بأعيانهم–[٦] لضرورتها في حياة الخلق ومصالحهم، ويُعد ترك الناس لها كما يؤكد الإمام الشاطبي مدعاة لانخرام النظام[٧]

---

(١) علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب. ص ٤٢.

(٢) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دراسة وتحقيق: د. حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، (د. ت). ج ٢، ص ٤٨١.

(٣) النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج ٩، ص ٥٠٥.

(٤) تيسفيتان تيوفانوف، ندوة: "سؤال الأخلاق في مشروع النُّورسي" ورقة بعنوان: مبادئ الإنسانية وتحديات العصر في نظرية سعيد النُّورسي، المغرب، سوز للطباعة والنشر، استانبول، ٢٠٠٨م. ص ١٣-١٤.

(٥) عشراتي سليمان، النُّورسي في رحاب القرآن، ص ٤٠.

(٦) المقصود بفرض الكفاية تحصيل المصالح ودرء المفاسد دون ابتلاء الأعيان بتكليفه، العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام، تحقيق: نزيه كمال حماد– عثمان جمعة ضميرية، دار القلم، ٢٠٠٠م، ج ١ ص ٦٩.

(٧) ابراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، ط ٢، ص ٤١-٤٢.

الذي هو أعظم مفاسد الأمم والمجتمعات وتؤثم الأمة بتركهم هذا الواجب العام[١]. لذا فإن الأستاذ النُّورسي جعل من الحث على الرقي المادي أحد مقاصد رسائل النور "إن مقاصدنا هو سوق الجميع بشوق وجداني إلى كعبة الكمالات بطريق الرقي، إذ الرقي المادي سبب عظيم لإعلاء كلمة الله"[٢].

ويرى الأستاذ النُّورسي أن أسباب التراجع المادي للمسلمين يرجع إلى أمرين: الأول نفسي وعملي راجع إلى الفتور في السعي الذي يخالف الأمر القرآني القاضي بـ ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴾[٣]. "فإن المصالح والخيرات واللذات والكمالات، كلها لا تنال إلا بحظٍ من المشقة"[٤].

وقد حدث ذلك التقاعس العملي بفعل تلقين ثقافة الخمول والتواكل من قِبَل "وعاظ جاهلين لم يدركوا أن إعلاء كلمة الله في الوقت الحاضر يتوقف على الرقي المادي، ولم يفرقوا بين قناعتين بعيدتين عن بعضهما: القناعة في التحصيل والكسب، وهي المذمومة، والقناعة في المحصول والأجرة وهي الممدوحة"[٥].

والسبب الثاني هو النفور من العمل اليدوي زراعة وصناعة وغير ذلك والإقبال على الوظيفة الحكومية، لذلك يؤكد النُّورسي أن "الطريق المشروع للمعيشة والسبيل الحيوي إليها هو الصناعة والزراعة والتجارة أما الطريق غير الطبيعي فهو الوظيفة الحكومية والإمارة بأنواعها"[٦].

وبالرغم من ذلك فإن النُّورسي يؤكد علي "استعداد الإسلام معنوياً للرقي المادي وسيادته في المستقبل. لأن في قلب الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي قد اجتمعت وامتزجت خمس قوى لا تُقهر، وهي في منتهى الرسوخ والمتانة. **القوة الأولى**: "الحقيقية الإسلامية" التي هي أستاذ جميع الكمالات والمثل والمجهّزة بالمدنية الحقيقية والعلوم الصحيحة.

---

(١) بدر الدين الزركشي، المنثور في القواعد، مؤسسة الخليج، ط١، ١٩٨٢م، ج ٣، ص ٣٥.
(٢) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج ٨، ص ٤٤٦.
(٣) سورة النجم، الآية ٣٩.
(٤) ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، تحقيق: سيد إبراهيم وعلي محمد، دار زمزم، ج٢، ص١٥.
(٥) النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص٤٠٣.
(٦) المصدر نفسه، ج٨، ص٤٠٣.

القوة الثانية: "الحاجة الملحة" التي هي الأستاذ الحقيقي للمدنية والصناعات المجهزة بالوسائل والمبادئ الكاملة.. وكذا "الفقر" الذي قصم ظهرنا. **القوة الثالثة:** الحرية الشرعية التي تعني التحلي بأسمى ما يُليق بالإنسانية من درجات الكمال والتشوق والتطلع إليها. **القوة الرابعة:** الشهامة الإيمانية المجهزة بالشفقة والرأفة. أي: أن لا يرضى الذُلّ لنفسه أمام الظالمين، ولا يلحقه بالمظلومين. **القوة الخامسة:** العزة الإسلامية التي تُعلن إعلاء كلمة الله. وفي زماننا هذا يتوقف إعلاء كلمة الله على التقدم المادي والدخول في مضمار المدنية الحقيقية. وإن قصدنا من المدنية هي محاسنها وجوانبها النافعة للبشرية وليس ذنوبها وسيئاتها"[١].

والأستاذ النُورسي لا يدعو إلى الترقي المادي في فكاك عن الترقي المعنوي لأنّ الخواء الروحي هو الذي يؤدي إلى كوارث رغم التفوق المادي، لذلك فإنه يقول في المكتوبات "التاريخ شاهد على أن المسلمين ما تمسكوا بدينهم إلا وترقوا بالنسبة لذلك الزمان، وما أهملوا الدين إلا وتدنوا"[٢].

فالترقي المادي وعمارة الأرض "لا يكون إلا بالتمسك بالدين وتطبيق شرعه وإنماء وإعمار الأرض على بصيرة وهذه البصيرة تتجلى بالعلم على أن يخضع العلم إلى الأخلاق"[٣].

وقد ترقى المسلمون رقياً عظيماً في الوقت الذي تمسكوا بدينهم وغدت الدولة الإسلامية في الأندلس الأستاذة العظيمة لأوربا[٤] والضياء للإنسانية [٥].

والإسلام لا يقاس بالنصرانية، لأنّ أوربا عندما كانت متمسكة بل متعصبة لدينها، لم تكن متحضرة، وعندما تركت التحضر والالتزام بدينها تحضرت، فقد كان الحكام المستبدون يتخذون الدين وسيلة في سجن العوام وفقراء الناس وأهل الفكر والعلم منهم، حتى تولد نوع

---

(١) النُورسي، كليات رسائل النور، صيقل الاسلام، ج ٨، ص ٤٩٩- ٥٠١.

(٢) النُورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج٢، ص٥٦٤.

(٣) مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٦هـ، ص٨٥.

(٤) النُورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ج٢، ص٤١٨.

(٥) النُورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم، ج١، ص٢٦٤.

من السخط على الدين[١].

إذن لا سبيل للترقي الحضاري للمسلمين إلا بالالتزام بتعاليم الدين "فإصابة الأمة في قلبها إنما هو من ضعف الدين ولن تنعم بالصحة إلا بتقوية الدين"[٢] وتطبيق الشريعة الغراء كفيل –كما يؤكد النُّورسي– "بطي المسافة الشاسعة التي تخلفنا فيها عن الرقي الحضاري في زمان قصير"[٣] لذا فكونوا على (أمل) بأن أعظم صوت مدوّ في انقلابات المستقبل هو صوت الإسلام الهادر[٤]. وأن الحقائق القرآنية–برحمة الرحمن الرحيم– ستنقذ البشرية من السقوط إلى أسفل سافلين، وتطهر وجه الأرض من الأدناس والأدران وتقيم سلاماً عاماً شاملاً[٥]. فالإسلام الذي هو الإنسانية الكبرى سيسطع كالشمس في رابعة النهار في سماء المستقبل وعلى جنان آسيا[٦].

الخاتمة:

من الدراسة السابقة نخلص إلى الآتي:

- تحمّل الأستاذ النُّورسي مسؤولية ورسالة البعث الحضاري للأمة الإسلامية من خلال رسائل النور.
- وُفّق الأستاذ النُّورسي في رسائل النور في تحديد علل وأزمات الأمة واقتراح الحلول وبعث المقومات وترتيب الأولويات.
- اكّدت رسائل النور أن هزيمة اليأس هو شرط تحقق حركة الحياة وفعاليتها، فاليأس داء قاتل وهو مانع كل كمال.
- العقبات في نظر النُّورسي في حقيقتها حافز للنهوض وهو الأمر الذي يؤكد على نباهته الحضارية.

---

(١) النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات ترجمة: إحسان قاسم، ج٢، ص٤١٨-٤١٩.
(٢) النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص١٠٣.
(٣) المرجع نفسه، ص٩٣.
(٤) النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج٩، ص١٤٢
(٥) النُّورسي، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص ٥٢.
(٦) النّورسي، كليات رسائل النور، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص٤٩- ٥٠.

- أكّد النُّورسي في رسائل النور على إمكان وقابلية الأمّة الإسلامية للترقي الحضاري وبشّر بمستقبل أفضل للمسلمين.
- اجتهد النُّورسي في بعث المسلمين بعثاً قرانياً يستوعب حضارة العصر، لكنه لا يحمل أوزارها وتسفلها وإبعادها للأخلاق والدين عن الفعل الحضاري.
- سوق الأمة بشوق وجداني إلى كعبة الكمالات بطريق الرقي المادي – إعلاءً لكلمة الله– أحد مقاصد رسائل النور.
- يقرر النُّورسي أنّ الرغبة في التحضر والتجدد والتقدم المادي يُلجئ إليها ا(لأمل) الباعث للحياة بموت (اليأس) القاتل لكل رغبة.
- مسلك النُّورسي في بث الأمل هو الذي جعل من رسائل النور إحدى العلامات الفارقة والمضيئة في فكرنا المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

٢. اورخان: محمد علي، سعيد النُّورسي، رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة، القاهرة (د.ت).

٣. البنعيادي: محمد البنعيادي، المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان النُّورسي، "العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية، ورقة بعنوان: فقه البناء والتجديد في المشروع الإيماني والأخلاق، استانبول، ٢٠١٠م.

٤. التجاني: أزهري التجاني عوض السيد، إعادة البناء الإسلامي، سلسلة رسائل البعث الحضاري (١٩)، المركز القومي للإنتاج الإعلامي، الخرطوم، ط٢، ١٩٩٦م.

٥. جيدل: عمار جيدل، المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان النُّورسي، "العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية" ورقة بعنوان: اهتمام رسائل النور بالمستقبليات، استانبول، ٢٠١٠م.

٦. رحائم: سعاد رحائم، الحضارة الإسلامية جذور وامتدادات، سلسلة كتاب الأمّة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ٢٠٠٧م.

٧. الزركشي: بدر الدين الزركشي، المنثور في القواعد، مؤسسة الخليج، ط١، ١٩٨٢م.

٨. سليمان: عشراتي سليمان، الندوة العلمية الدولية: جهود سعيد النُّورسي في تجديد الفكر الإسلامي ورقة بعنوان: النُّورسي ومنطق السيرورة، تحسس لمسألة الزمان كما تمثلها فكرياً، الرباط،

دار سوزلر للطباعة والنشر.
٩. سليمان: النُّورسي في رحاب القرآن، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط ٢، ٢٠١٠م.
١٠. الشاطبي: إبراهيم بن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، ط٢، ص ٤١- ٤٢.
١١. العالم يتصفح رسائل النور، مؤلف رسائل النور: بديع الزمان سعيد النُّورسي، لمحات من حياته وآثاره، دار سوزلر للنشر، (د.ت).
١٢. ابن عبد السلام: العز، قواعد الأحكام، تحقيق: نزيه كمال حماد- عثمان جمعة ضميرية، دار القلم.
١٣. الغزالي: أبو حامد محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دراسة وتحقيق: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، (د. ت).
١٤. فارح: عبد العزيز فارح، ندوة : سؤال الأخلاق في مشروع النُّورسي، ورقة بعنوان: بديع الزمان النُّورسي معالم في الأخلاق والإيمان، المغرب، دار سوز للطباعة والنشر، استانبول، ط١، ٢٠٠٨م.
١٥. الفاسي: علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب.
١٦. ابن القيم: ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، تحقيق: سيد إبراهيم وعلي محمد، دار زمزم.
١٧. النُّورسي: بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور(١)، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول، ١٩٩٢م.
١٨. النُّورسي: كليات رسائل النور(٢)، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر استانبول، ط١، ١٩٩٣م.
١٩. النُّورسي: كليات رسائل النور(٣)، اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول.
٢٠. النُّورسي: كليات رسائل النور(٥)، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط٣، ١٩٩٩م.
٢١. النُّورسي: كليات رسائل النور(٦)، المثنوي العربي النُّوري، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط٤، ١٩٩٩م.
٢٢. النُّورسي: كليات رسائل النور(٧)، الملاحق (في فقه الدعوة)، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر

للنشر، استانبول، ط١، ١٩٩٥م.
٢٣. النُّورسي: كليات رسائل النور(٨)، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ١٩٩٣م.
٢٤. النُّورسي: كليات رسائل النور(٩)، سيرة ذاتية، ترجمة وإعداد: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط٣، ١٩٩٨م.
٢٥. النُّورسي: من كليات رسائل النور، الإخلاص والأخوة، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، القاهرة، (د.ت).
٢٦. النُّورسي: من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، صرخة في موات أمّة، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، استانبول، (د.ت).
٢٧. يالجن: مقداد يالجن، دور التربية الأخلاقية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإنسانية، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٦هـ.